**عامٌ مضى**

**وضاح سيف سعيد الجبزي**

**الحمد لله قَدَّم من شاء بفضله، وأخّر من شاء بعدله، لا يعترض عليه ذو عقل بعقله، ولا يسألُه مخلوقٌ عن علّة فعله، نحمَده على حَزَن الأمر وسهلِه، ونحمده كما حمد نفسه، وكما حمده الحامدون من جميع خلقه، ونستعينه استعانة من فوَّض أمره إليه، وأقرّ أنه لا ملجأ ولا منجا منه إلا إليه، ونستغفره استغفار مقرٍّ بذنبه، معترفٍ بخطيئته.**

**ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد العزيز الماجد، المتفرد بالتوحيد والتمجيد، ليس له مثل ولا نديد، هو المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، جلّ عن اتخاذ الصاحبة والولد، ولم يكن له كفوًا أحد، لم يزل حكيمًا قديرًا، عليمًا خبيرًا، سبق الأشياءَ علمُه، ونفذت فيها إرادته، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في سمائه وأرضه -سبحانه وبحمده.-**

**ونشهدُ أن محمدًا عبده ونبيّه، ورسوله إلى خلقه، وأمينُه على وحيه، أشرفُ من وطئ الحصى بنعله، بلّغ عن الله رسالاته، ونصح له في برياته، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آل بيته الطاهرين، وعلى أصحابه أجمعين، وعلى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، ومن سار على نهجهم، واقتدى بهديهم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **صلى عليه الله ما حيَّ الحيا يا ربّ صلِ على النبيِّ محمّدٍ ما احْمرَّ خَدُّ الأُقحُوانِ على النّدى** |  | **أرضًا وما شَهَقتْ بتَسليمٍ فمُ ما سبَّحتْ فوقَ السّماء الأنجُمُ ما حام حولَ حِمى حرامِك مسلمُ** |

**صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله، وصحبه ما لمع برق، وهمع ودق، وطلعت شمس، ونسخ اليومُ أمس.**

**وبعد:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **عامٌ مضى عنّا وعامٌ مثلُه ذقنا حلاوتَها وذقنا مرَّها وكأن شيئًا لم يكن حين انقضى فاعملْ لدار لا يبيد نعيمُها** |  | **ومضتْ شهورٌ إثرها أعوامُ فكأنّ ذكرانا لها أحلامُ وكأن أعوامًا مضت أيامُ هي للعباد الصالحين مقامُ** |

**عباد الله، ها نحن نُودِّع عامًا، وندلِفُ لاستِقبال آخر، والسنوات والأشهر والأيام أوراقٌ من دفاتر أعمارنا، وصفحاتٌ من سجلات أعمالنا، وكلما مضت صفحة مضى جزء من العمر لا يمكن استعادتُه، ويستحيل استرجاعُه.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ما مضى فاتَ والمؤمَّل غَيبٌ** |  | **ولك الساعةُ التي أنت فيها** |

**ما مضى من أعمارنا -وإن طالتْ أوقاتُه- قد ذهبتْ لذّاتُه، وبقيتْ تبِعاتُه، وكأنه لم يكن إذا جاء الموت وميقاتُه.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أليس مِن الخُسران أنَّ ليالِيًا** |  | **تَمرُّ بِلا نَفعٍ وتُحسبُ من عُمري؟!** |

**تمرّ بنا -يا أيها الأحبة- أعوام وكأنها أيام، وتمر الأيام وكأنها أحلام.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ثلاثة أيامٍ هي الدهرُ كلُّه** |  | **وما هي غيرُ الأمسِ واليوم والغدِ** |

**مضى -يا عبد الله- أمسِ بما فيه، واليوم أنت فيه، وغدًا لم يولد، فلا تدري هل تدركه وتلاقيه؟ إنما أنت ابنُ الساعة التي أنت فيها، فعجّل في تلافيها، وأودعها أعمالاً صالحة تنفعك إذا بلغت الروح تراقيها، وغداً عند ربك ملاقيها، ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[يونس:61]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[النحل:97]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[الكهف:30]، ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾[القصص:67]، ﴿ وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)﴾.**

**أيها المسلمون، الوقت هو ظرف الزمان الذي يعيش فيه الأحياء، وتسير فيه الحياة من المولد حتى الممات.**

**في كل لحظة من لحظات هذا الزمن تخلع الموجودات قديمها، وفي كل آن من آنائه تلبس جديداً، ﴿يُقَلّبُ اللَّهُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِى الأَبْصَـارِ﴾[النور:44].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **إنّا لَنفرَحُ بالأيَّام نقْطعُها** |  | **وكلُّ يومٍ مضى يُدني مِن الأجَلِ** |

**قال بعض الحكماء: من كان الليلُ والنهار مطيَّتيه؛ سارا به وإن لم يسِرْ([[1]](#footnote-1)).**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **رأيتُ أخا الدُّنيا وإنْ كان خافِضًا** |  | **أخا سَفرٍ يُسْرَى به وهو لا يَدري** |

**قال داود الطائي: إنَّما الليلُ والنهارُ مراحلُ يَنْزلُها الناس مرحلةً مرحلة، حتى ينتهي ذلك بهم إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تُقدِّم في كلِّ مرحلة زادًا لما بين يديها، فافعل، فإنَّ انقطاع السّفر عن قريب ما هو، والأمر أعجلُ من ذلك، فتزوَّد لسفرك، واقض ما أنت قاضٍ من أمرك، فكأنَّك بالأمر قد بَغَتك([[2]](#footnote-2)).**

**وقال الحسن: لم يزل الليلُ والنهار سريعين في نقص الأعمار، وتقريبِ الآجال، هيهات قد صحبا نوحًا، وعادًا، وثمودَ، ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾[الفرقان:38]، فأصبحوا وقد قَدِموا على ربِّهم، ووردوا على أعمالهم، وأصبح اللَّيل والنَّهار غضَّيْن جديدين، لم يُبلِهما ما مرَّا به، مستعدّين لمن بقي بمثل ما أصابا به مَن مضى([[3]](#footnote-3)).**

**وكتب الأوزاعيُّ إلى أخٍ له: أما بعد، فقد أُحيطَ بك من كلّ جانب، واعلم أنَّه يُسارُ بك في كلِّ يومٍ وليلةٍ، فاحذر الله،** **والمقام بين يديه، وأن يكون آخر عهدك به، والسَّلام([[4]](#footnote-4)).**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **نسيرُ إلى الآجال في كُلِّ لحظةٍ ولم أر مثلَ الموتِ حقًّا كأنّهُ وما أقبَح التفريطَ في زمنِ الصِّبا ترحَّلْ مِن الدنيا بزادٍ من التُّقى** |  | **وأيامُنا تُطْوى وهُنَّ مَراحِلُ؟! إذا ما تخطّته الأمانيّ باطلُ؟! فكيف به والشَّيبُ للرأس شامِلُ؟! فعُمرُك أيامٌ وهنَّ قلائلُ!** |

**أيها المسلمون -عباد الله-،** **الزمن يسير في اتجاه واحد لا يتوقف؛ الذاهب منه لا يُصدُّ ولا يُردّ، والقادم فيه لا يُقطع ولا يُدفع، والإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يشعر بالزمن، ويدرك حركته، ويبصر آثاره، ويلحظ مسيره، والناس في مدرسة الزمن بين غافل لا يرى للحياة لوناً، ولا يذوق لها طعمًا، لا يختلف أمسُه عن يومه، ولا يومُه عن غده، وآخرُ حيّ يقظ، يشهد آثار الزمن في نفسه، وفي كل مظهر من مظاهر الحياة والأحياء، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ \* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[آل عمران:190-191]]، ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ \* وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ \* وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ \* تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾[الجاثية:3-6].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **إلى كم تمادَى في غرورٍ وغفلَةِ لقد ضاع عمرٌ ساعةٌ منه تُشتَرى أيُنفقُ هذا في هوى هذه التي أترضى من العيش الرغيد وعيشةٍ أفانٍ بباق تشتريه سفاهةً لقد بعتها هوناً عليك رخيصةً** |  | **وكم هكذا نومٌ إلى غير يقظةِ؟! بملء السما والأرض أيّةَ ضيعةِ أبى الله أن تُسوى جناحَ بَعوضة؟! مع الملأ الأعلى يعيش البهيمة؟! وسخطًا برضوان ونارًا بجنة؟! وكانت بهذا منك غيرَ حقيقةِ** |

**﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ \* أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ \* دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[يونس:7-10].**

**يقول أبو حازم -رحمه الله-: عجبًا لقوم يعملون لدارٍ يرحلون عنها كلَّ يوم مرحَلة، ويدعون أن يعملوا لدارٍ يرحلون إليها كلَّ يوم مرحلة([[5]](#footnote-5)).**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وما هذه الأيامُ إلا مراحلٌ وأعجب من ذا لو تأملت أنها** |  | **يحُثّ بها داعٍ إلى الموت قاصِدُ منازلُ تُطوَى والمسافرُ قاعدُ** |

**قال بعض الحكماء: كيف يفرح بالدنيا مَن يومُه يهدِمُ شهرَه؟ وشهرُه يهدِم سنَته؟ وسنتُه تهدِمُ عُمُرَه؟ كيف يفرح من يقوده عمُرُه إلى أجله؟ وتقودُه حياتُه إلى موته([[6]](#footnote-6))؟**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أيا ويحَ نفسي من نهارٍ يقودُها** |  | **إلى عسكر الموتى وليلٍ يذودُها** |

**يقول يحيى بن معاذ: لست أبكي على نفسي إن ماتت، إنما أبكي على حاجتي إن فاتت([[7]](#footnote-7)).**

**فيا أُخيّ:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **تَزوَّدْ مِن الدنيا بِساعتِك التي فلا يومُك الماضي عليك بِعائِدٍ** |  | **ظَفِرتَ بها ما لم تَعُقْك العوائِقُ ولا يومُك الآتي به أنت واثِقُ** |

**كم من مُستقبِلٍ يومًا لا يستكمِلُه، ومُؤمِّلٍ لغدٍ لا يُدرِكه، ومن رأى أجلَه ومسيرَه أدرك حقيقةَ الأمل وغرورَه، ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ \* ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ \* مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾[الشعراء: 205-207].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وابْنُ عشرٍ مِن السِّنينَ غُلامٌ وابنُ عشرين للصبا والتّصابي والثلاثون قوةٌ وشبابٌ فإذا زاد بعد ذلك عشراً وابنُ خمسين فات عنه صباهُ وابنُ ستين صيَّرتْه الليالي وابنُ سبعين لا تسلنيَ عنه فإذا زاد بعد ذلك عشراً وابنُ تسعين عاش ما قد كفاهُ فإذا زاد بعد ذلك عشراً** |  | **رُفِعتْ عن نَظيره الأقلامُ ليس يُثنيهِ عن هواه ملامُ وهيامٌ ولوعةٌ وغرامُ فكمالٌ وشدةٌ وتمامُ فيراه كأنّه أحلامُ هدفاً للمَنُون وهي سهامُ فابنُ سبعين ما عليه كلامُ بلَغ الغاية التي لا تُرامُ واعْتَرتْهُ وساوسٌ وسِقامُ فهو حيٌّ كميِّتٍ والسّلامُ** |

**فيا من كلما طال عمرُه زاد ذنبُه، يا من كلما ابيض شعرُه بمرور الأيام اسود بالآثام قلبُه، يا من تمرُّ عليه سنةٌ بعد سنةٍ وهو مستثقل في نوم الغفلة والسِّنة، يا من يأتي عليه عامٌ بعد عام وقد غرِقَ في بحر الخطايا فعام، يا من يشاهد الآيات والعِبَر كلّما توالتْ عليه الأعوام والشهور، ويسمع الآيات والسور، ولا ينتفع بما يسمع ولا بما يرى من عظائم الأمور، ما الحيلة فيمن سبق عليه الشقاء في الكتاب المسطور؟ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[الحج:46]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[النور:40] ([[8]](#footnote-8)).**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **خليليَّ كم مِن ميتٍ قد حضَرتُهُ وكم مِن ليالي قد أرَتْني عجائبًا وكم مِن سنين قد طوَتْنِي كثيرة ومن لم يزده السِّنُّ ما عاش عِبرةً** |  | **ولكنَّني لم أنتفِعْ بحضوري لَهُنَّ وأيامٍ خلَتْ وشهورِ وكم من أمورٍ قد جَرَتْ وأمورِ فذاك الذي لا يستنيرُ بنُورِ** |

**فجديرٌ بمَن الموتُ مصرَعُه، والقبرُ مضجَعُه، والقِيامةُ موعِدُه، والجنةُ أو النارُ مورِدُه؛ أن يكون شديد الحذر في المسير، وأن يديم نظرَه في النقير والقطمير، وألّا يكون تفكيرُه إلا في العاقبة والمصير؛ فإنّ القبر مقرٌّ، وبطن الأرض مُستقرٌّ، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ \* ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾[الأنعام:61-62].**

**فأين يفِرُّ الفارُّون من الله وكلهم في قبضته؟! وكيف يُشكر غيرُ الله وما في الخلائق من نِعم فمن جودِه وكرمِه، وإلى مَن يلجأُ الخائفون وكلُّهم محفوظ بعنايته ورحمته؟**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **يا عَجباً للناسِ لو فكَّرُوا وعَبَروا الدنيا إلى غيرها والخيرُ ما ليس بِخافٍ هو الـ والموردُ الموتُ وما بعده الـ لا فخرَ إلّا فَخرُ أهلِ التُّقى لَيَعلَمَنَّ النّاسُ أنَّ التُّقى عجبتُ للإنسان في فخرِهِ ما بالُ مَن أَوَّلُهُ نُطفَةٌ أصبَحَ لا يَملكُ تَقديمَ ما وأصبح الأمرُ إلى غيرهِ** |  | **أو حاسَبوا أنفُسَهم أبصَروا فإنّما الدنيا لهم مَعبَرُ معروفُ والشرُّ هو المنكرُ حشرُ فذاك المورد الأكبَرُ غداً إذا ضمَّهُمُ المحشَرُ والبِرَّ كانا خَيرَ ما يُذخَرُ وهو غداً في حُفرَةٍ يُقبَرُ وجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفخَرُ يرجو ولا تأخيرَ ما يَحذَرُ في كلِّ ما يُقضى وما يُقدَرُ** |

**فيا معشر العباد، أين الآباء والأجداد؟! وأين المرضى والأصِحَّاء والعُوَّاد؟! أفضَوا إلى ما قدَّموا، فالموعدُ يوم المعاد، والمُلتقى يوم التَّناد، يوم يُنفخُ في الصور، ويُنقَر في الناقُور، ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ \* وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾[هود:103-104].**

**أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ \* قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ \* قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ \* فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾[المؤمنون: 112-116].**

**نفَعَني اللهُ وإياكم بِكِتابِه، وبهَديِ نبيِّه محمدٍ ﷺ، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ وخطيئةٍ، فاستغفِرُوه، وتوبوا إليه، ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾.**

**الخطبة الثانية:**

**الحمدُ لله، الحمدُ لله عظيم الشَّأن، قَدِيم الإحسان، أحمدُه -سبحانه- وأشكرُه هو الباقي وكلُّ مَن عليها فان، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المُتفرِّدُ بالمُلك والتدبير والسُّلطان، وأشهدُ أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُ الله ورسولُه هو خاتمُ النبيين، ودِينُه خَيرُ الأديان، صلَّى الله وسلَّم وبارَك عليه وعلى آلِهِ وأصحابِه وأتباعِه بإحسان.**

**وبعد:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **قالوا سيرحلُ من أعمارنا عامُ لا يرحل العام! نحن الراحلون إلى** |  | **فقلتُ كيف وهذا العمر أيامُ!؟ نهاية العمر! والأعوام أرقامُ** |

**ذكر أبو نعيم في الحلية([[9]](#footnote-9)) بسنده، قال فضيل بن عياض لرجل: كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة، قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك توشك أن تبلغ، فقال الرجل: يا أبا علي، إنا لله وإنا إليه راجعون، قال له الفضيل: تعلَم ما تقول؟ قال الرجل: قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، قال الفضيل: تعلَمُ ما تفسيرُه؟ قال الرَّجل: فسِّره لنا يا أبا علي، قال: قولُك إنَّا لله، تقول: أنا لله عبدٌ، وأنا إلى الله راجع، فمَن عَلِم أنّه عبد الله، وأنَّه إليه راجع، فليعْلَم بأنّه موقوف، ومَن عَلم بأنَّه موقوفٌ فليعلم بأنَّه مسؤول، ومَن علم أنّه مسؤول، فليُعِدَّ للسؤال جوابًا، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة، قال: ما هي؟ قال: تُحسِن فيما بقي، يُغفَرُ لك ما مضى وما بقي، فإنَّك إن أسأتَ فيما بقي أُخِذتَ بما مضى وما بقي.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فإن كنتَ بالأمس اقتَرفْتَ إساءةً ولا تُرجِ فعلَ الخيرِ يوماً إلى غدٍ فيومُك إنْ أعتَبْتهُ عاد نفعُهُ** |  | **فثنِّ بإحسانٍ وأنت حميدُ لعلَّ غَدًا يأتي وأنت فَقِيدُ عليك وماضي ليس يعُودُ** |

**﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف:110]، ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾[سبأ:37]، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[غافر:40]، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾[الطلاق:11].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فاعمل لدار البقا رضوان خازنُها** |  | **والجارُ أحمدُ والرحمنُ بانيها** |

**فأصلِح -يا عبد الله- مثواك، حفظك مولاك، ولا تبِع آخرتَك بدُنياك، واعلم أنه من غفل عن نفسه؛ تصرّمت أوقاتُه، وعظُم فواتُه، واشتّدتْ حسراتُه.**

**﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[آل عمران: 185]، ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت: 64].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **دُنياك ساعاتٌ سِراعُ الزَّوَالْ فهل تَبيعُ الخُلدَ يا غافلاً** |  | **وإنَّما العُقْبَى خُلودُ المآلْ وتشتري دُنيا المُنى والضَّلالْ؟!** |

**﴿يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾[غافر:39].**

**عباد الله، لا دافع عنكم من الموت يقيكم، فتوبوا قبل أن تندموا إذا غُصّت تراقيكم؛ ﴿إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾[الجمعة:8].**

**فبادروا -رحمكم الله- أيامكم قبل هجوم الفاقرة، واستعِدّوا للقدوم إلى الآخرة، ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وحِدَةٌ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾[النازعات:14].**

**يقول ﷺ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا؛ هَلْ تُنْظَرُونَ إِلَّا إِلَى فَقْرٍ مُنْسٍ، أَوْ غِنًى مُطْغٍ، أَوْ مَرَضٍ مُفْسِدٍ، أَوْ هَرَمٍ مُفَنِّدٍ، أَوْ مَوْتٍ مُجْهِزٍ، أَوِ الدَّجَّالِ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةِ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ»**([[10]](#footnote-10))**.**

**ويقول ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ؛ فَتَكُونُ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَالضَّرَمَةِ([[11]](#footnote-11)) بِالنَّارِ»([[12]](#footnote-12)).**

**﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء:52]، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾[الروم: 55]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[النازعات:46].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **إذا كنت أعلم علمًا يقينًا فلِمَ لا أكونُ ضنينًا بها** |  | **بأن جميع حياتي كساعهْ وأجعلُها في صلاح وطاعهْ؟!** |

**﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[آل عمران: 8].**

**﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[آل عمران: 53].**

**﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الأعراف: 23].**

**اللهم املأ قلوبنا إيماناً بك، وتصديقاً لك، ويقينًا بوعدك، وثقة بموعودك،** **وحسن ظن بك، وتوكلاً عليك، وإنابة إليك، ورضا بما عندك، ومعرفة بجلالك وقدرك، وحباً لك، وشوقاً إلى لقائك.**

**اللهم اجعل عامَنا عامَ خيرٍ وبرَكة، وأيامَنا أيامَ أمنٍ وأمان، وسلامةٍ وإسلام، اللهم وفِّقنا فيه لصالح العمل، وجنّبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.**

1. () الزهد لابن أبي الدنيا (192). [↑](#footnote-ref-1)
2. () حلية الأولياء (71/345)، صفة الصفوة (3/138). [↑](#footnote-ref-2)
3. () الزهد لابن أبي الدنيا (194). [↑](#footnote-ref-3)
4. () كلام الليالي والأيام لابن أبي الدنيا (31)، حلية الأولياء (6/140). [↑](#footnote-ref-4)
5. () صفة الصفوة (2/494). [↑](#footnote-ref-5)
6. () حفظ العمر لابن الجوزي (67). [↑](#footnote-ref-6)
7. () حلية الأولياء (10/51). [↑](#footnote-ref-7)
8. () لطائف المعارف (304). [↑](#footnote-ref-8)
9. () حلية الأولياء (8/113). [↑](#footnote-ref-9)
10. () رواه الترمذي (٢٣٠٦)، وقال: حسن غريب، والبيهقي في الشعب (10088)، وبنحوه: الحاكم (7906)، وصححه، والطبراني في الأوسط (3945)، والشهاب القضاعي في مسنده (823)، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٦٦٦). [↑](#footnote-ref-10)
11. () أي: كزمن إيقاد الضرمة، وهي ما يوقد به النار أولاً، كالقصب والكبريت، وقيل: المراد: قصر الأعمار بقلة البركة، منحة الباري (3/112). [↑](#footnote-ref-11)
12. () رواه الترمذي (٢٣٣٢)، وأحمد (١٠٩٤٣)، والبزار (٦٢١٦)، وابن حبان (٦٨٤٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٤٢٢). [↑](#footnote-ref-12)